تحقيق مذهب

شيخ الإسلام ابن تيمية

في مسألتي

العذر بالجهل وتكفير المعين

تأليف

شيخ الإسلام فارس السيف والقلم

عبدالرحمن بن حسن بن شيخ الإسلام الإمام محمد بن عبدالوهاب

(١١٩٣هـ– ١٢٨٥هـ)

علّق عليه واعتنى بنشره

بدر بن علي بن طامي العتيبي

قال المؤلف رحمه الله تعالى

في القصد من هذا الكتاب:

«والمقصود: بيان ما كان عليه شيخ الإسلام، وإخوانه من أهل السنة والجماعة من إنكار الشرك الأكبر الواقع في زمانهم

وذكرهم الأدلة من الكتاب والسنة، على كفر من فعل هذا الشرك، أو اعتقده

فإنه بحمد الله يهدم ما بناه ـ هذا الجاهل المفتري ـ على شفا جرف هار».

وقال عمَّن لا يكفر المشركين ويعذرهم بالجهل:

«وهؤلاء في الحقيقة: خصوم شيخ الإسلام، وإخوانه من العلماء الأعلام، وسلف الأئمة الكرام، كما قد عرفت فيما قدمته لك، من تقرير هذا»

مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد :

فهذه رسالة مقتطفة من رسائل شيخ الإسلام الإمام عبدالرحمن بن حسن بن شيخ الإسلام الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب – عليهم رحمة الله أجمعين – ومضمونها يكشف سبب تأليفها، وقضيتها المبنية عليها، وهي الرد على عثمان بن منصور في بعض مقالاته، مما ورثه عن شيخه داود بن جرجيس في معارضته لكلام أئمة الدعوة وعلى رأسهم الإمام محمد بن عبدالوهاب، ومصادمة قولهم ببعض عبارات مقتطعة! من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، وهذه الطريقة من أساليب أهل الضلال الدسيسة في نسبة باطلهم إلى أهل الحق، وهي من موروث كل صاحب بدعة من الجاهلية الأولى، فإن صور أهل الجاهلية:

نسبة باطلهم إلى أهل الحق حتى يروج بين الناس، زخرفة له وتمويهاً قال تعالى: **﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الْأِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾** [الأنعام:١١٢] .

فأسلافهم من أهل الجاهلية الأولى نسبوا باطلهم إلى الله تعالى، فقالوا فيما أخبر الله عنهم: **﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾** [الأعراف:٢٨] .

وكذلك قال اليهود والنصارى للناس بأن ما يصنعونه هو دين إبراهيم عليه السلام ، فأنزل الله تعالى: **﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلا نَصْرَانِيّاً وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾** [آل عمران:٦٧] .

وقالت اليهود لما عبدت العجل بأن هذا من عهد موسى لهم! قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾ [طـه:٨٨] .

وكذلك السحرة لما كسدت بضاعتهم وهانوا على الناس، فأرادوا ترويج السحر بين الناس فنسبوه إلى سليمان عليه السلام! فكذبهم الله تعالى قال سبحانه: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [البقرة:١٠٢] .

وكذلك قالت النصارى بأن عيسى عليه السلام أمر الناس أن يعبدوه ويعبدوا أمه من دون الله ، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة:١١٦] .

وروى الخطيب في " تاريخه " أن الحلاج قال: إن الإنسان إذا فاته الحج يفرد في بيته داراً ينقيها من النجاسة ويحج لها بصورة ذكرها هناك! فقالوا له: من أين لك ذلك؟! فقال : من كتاب الإخلاص للحسن البصري! فقال له أبو عمر القاضي: «كذبت يا حلال الدمّ؛ قد سمعنا كتاب "الإخلاص" للحسن البصري بمكة وليس فيه شيءٍ مما ذكرته!».

فهذه **الطريقة الجرجيسية الشيطانية** ليست غريبة في ميدان الحرب بين الحق والباطل، وقد ورثها من ابن جرجيس جماعة كثير، فأخذوا يلبسون على الناس بمتشابه الكلام من عبارات شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، وابن القيم .

وممن تبعه على هذه **الطريقة الجرجيسية**: عثمان بن منصور، و زيني دحلان، و علوي الحداد، والدجوي، ومحمد علوي المالكي، وغيرهم من أهل الغواية والضلالة،

وهم والله يعلمون أن شيخ الإسلام ابن تيمية ضدهم وضد عقيدتهم، وما أرادوا إلا الوسوسة والتلبيس على الناس بهذين الإمامين العالمين للوصول إلى ما يريدون لما كسدت بضاعتهم، وهانوا على الناس، ولم يبقَ لهم ولمشيختهم مكانة في قلوب العالمين، عمدوا إلى التلبيس بمتشابه كلام هذين الإمامين، وتركوا مشهور كلامه وأوضحه، ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره ما دام في الأمة من يفرق بين الحق والباطل، ويرد على كل غاوٍ غوايته، ومن هؤلاء هذا الشيخ الإمام عبدالرحمن بن حسن رحمه الله تعالى في رسالته هذه.

ومن المسائل التي كثر اللبس فيها بين كثير من العالمين، بل وفي أوساط بعض أهل العلم: **مسألة تكفير المعين؛ وإعذار الجاهل إذا وقع في الشرك الذي جاءت الأدلة العقلية والنقلية والفطرية متفقة برفضه** ، وقد قرأت وسمعتُ من كلام الكثير العجب العجاب الذي يذهل أولي الألباب! بل ومنهم من أطلق بنفي كفر المعين مهما فعل وقارف؟! ومنهم من حكم بإسلام كل جاهل مهما عمل وقال من الشرك الأكبر الذي لا يصح الدين إلا بالكفر به، فأي دين صح لهم حتى ينظر في كفرهم بالجهل من عدمه؟!

وقد بين الشيخ الإمام عبدالرحمن بن حسن حقيقة القول في هاتين المسألتين باختصار، وكشف الشبهة عما أورده المعارض من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية.

ولشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى كلام كثير في هاتين المسألتين، وقد أفردت كلامه في مسألة العذر بالجهل بمصنف مفرد مع كلام شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، وكشف الشبه عما اشتبه من كلامهما ، وهو كتابي المسمى بـ : "**براءة الشيخين من إعذار الجاهلين بتوحيد رب العالمين**" .

وممن سار على نهج الإمام في كشف الشبه الواردة على لسان أتباع الطريقة الجرجيسية: الشيخ الإمام عبدالله بن عبدالرحمن أبا بطين – رحمه الله تعالى – فقد كتب

في ذلك أكثر من رسالة ، جمعتها تحت مسمى " **إرشاد العبيد إلى عدم العذر بالجهل في أصل التوحيد** " وهي معدة للطباعة قريباً بإذن الله تعالى.

ولم أقدم بين يدي الكتاب بترجمة للمؤلف رحمه الله تعالى لشهرته وإمامته عليه رحمة الله عز وجل، واكتفيت بتصحيح المتن، والتعليق عليه بما يلزم، والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتب

بدر بن علي بن طامي العتيبي

الطائف ١٢ ربيع الآخر ١٤٢٢هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .

اعلم؛ أيها الطالب للحق، الراغب في معرفة الإخلاص والصدق، أنه ورد علينا أوراق صدرت من رجل سوء، تتضمن التحذير من التكفير، من غير تحقيق ولا تحرير، يقول فيها: «قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على أهل الرفض من الخوارج والاعتزال».

أقول: هذه عبارة من لا علم عنده، ولسنا بصدد بيان ما فيها من الجهل والخطل، والبصير يدرك ما فيها من الزلل[1].

ثم إنه قال : «قال شيخ الإسلام ابن تيمية : وهؤلاء الذين ابتدعوا أصولاً، زعموا: أنه لا يمكن تصديق الرسول إلا بها، وأن معرفتها شرط في الإيمان، واجبة على الأعيان: أهل بدعة عند السلف، والأئمة وجمهور العلماء الحذاق من الأمة، ومن تبعهم بإحسان، إنها باطلة في العقل مبتدعة في الشرع».

إلى أن قال :

«ومن شأن أهل البدع: أنهم يبتدعون أقوالا يجعلونها واجبة في الدين ، بل يجعلونها من الإيمان الذي لا بد منه، ويكفرون من خالفهم فيها، ويستحلون دمه، كفعل الخوارج، والجهمية، والرافضة، والمعتزلة، وغيرهم.

وأهل السنة لا يبتدعون قولا ولا يكفرون من اجتهد فأخطأ، وإن كان مخالفهم لهم مستحلا لدمائهم، كما لم تكفر الصحابة ﷺ الخوارج مع تكفيرهم واستحلالهم دماء

[1] وهو كما قال رحمه الله تعالى من وضوح الجهل والخطل! فاجتماع الرافضة والخوارج على طرفي نقيض! فكيف يجعل الخوارج والمعتزلة من الرافضة؟ ثم الكتاب هو كتاب "منهاج السنة في نقض كلام الشيعة القدرية" فما علاقة الخوارج والمعتزلة به؟!

المسلمين المخالفين لهم، وساق كلام شيخ الإسلام في الخوارج والجهمية، والمعتزلة وغيرهم مقطعا، أخذ منه ما قصد به اللبس، والتضليل، وترك منه ما فيه البيان والتفصيل»[١].

وما وجدنا لنقل هذا الرجل لكلام شيخ الإسلام وغيره، محملاً حسناً يُحمل عليه، ولا حاجة لذلك دعته إليه، إذ ليس في جزيرة العرب وما حولها من يرى رأي الخوارج، ويكفر الصحابة وغيرهم من أهل الإيمان بالذنوب، التي لا يكفر صاحبها، ولا من يقول بالمنزلة بين المنزلتين، وينكر القدر كالمعتزلة، ولا من يجحد صفات الرب تعالى كالجهمية، ولا من يغلو في أهل بيت النبيﷺ، ويدعي فيهم الإلهية كالرافضة.

فإذا كان ذلك كذلك عُلم : أنه إنما أراد بهذه النقول، أهل هذه الدعوة الإسلامية التي ظهرت بنجد، فانتفع بها الخلق الكثير، والجم الغفير من هذه الأمة، وتمسكوا فيها بالأصول؛ من الكتاب والسنة، وتأيدوا بإجماع سلف الأمة، وما قرره أتباع السلف من الأئمة، كشيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه العلامة محمد ابن قيم الجوزية، وسلفهم من أهل السنة والجماعة.

وهذا الرجل إنما أُتي من جهة فساد الاعتقاد، فلا يرى الشرك الجلي ذنبا كبيراً يكفر فاعله، فوجّه إنكاره وطعنه على من أنكر الشرك، وفارق أهله، وكفرهم بالكتاب والسنة والإجماع.

ولا يخفى: أن من أشد الناس إنكاراً للشرك: شيخ الإسلام ابن تيمية، وأمثاله من علماء السنة، لما حدث في زمانهم، وعمَّت به البلوى فأنكروه، وبينوا أن هذا هو الشرك الجلل، الذي عليه المشركون الأولون، كما سيأتي في كلامه رحمه الله تعالى.

---

[١] "منهاج السنة" (٥/ ٩٤-٩٥).

فصار من هؤلاء المشركين، من يكفِّر أهل التوحيد، بمحض الإخلاص والتجريد، وإنكارهم على أهل الشرك والتنديد، فلهذا قالوا: أنتم خوارج، أنتم مبتدعة، كما أشار العلامة ابن القيم إلى مثل هذه الحال في زمانه، بقوله:

من لي بشبه خوارج قد كفروا ... بالذنب تأويلا بلا حسبانِ
ولهم نصوص قصروا في فهمها ... فأتوا من التقصير في العرفانِ
وخصومنا قد كفرونا بالذي ... هو غاية التوحيد والإيمانِ[١]

وهذا الرجل قد أخذ بطريقة من يكفِّر بتجريد التوحيد، فإذا قلنا: «لا يعبد إلا الله ولا يدعا إلا هو، ولا يرجى سواه ولا يتوكل إلا عليه، ونحو ذلك من أنواع العبادة التي لا تصلح إلا لله، وأن من توجه بها لغير الله فهو كافر مشرك، قال : ابتدعتم وكفرتم أمة محمد، أنتم خوارج أنتم مبتدعة[٢].

وأخذ من كلام شيخ الإسلام في أهل البدع ، ما كتبه بعرض بأهل التوحيد ، ولا يخفى ما قاله شيخ الإسلام : فيمن أشرك بالله ، قال رحمه الله تعالى: «من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ، ويسألهم ويتوكل عليهم ، كفر إجماعاً»[٣].

وغاية ما موّه به هذا على الجهال: أن شيخ الإسلام رحمه الله ، ذكر في أهل المقالات الخفية: أنها وإن كانت كفرا فلا ينبغي أن يكفر صاحبها حتى تقوم عليه الحجة، وهذا

---

[١] "نونية ابن القيم" (ص١٠٣).

[٢] وهذا من انتكاس المفاهيم، ومن العجب العجاب، وقد ذكر ذلك شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله في رسالته "ستة أصول عظيمة" حيث قال: «الأصل الأول: إخلاص الدين لله تعالى وحده لا شريك له، وبيان ضده الذي هو الشرك بالله، وكون أكثر القرآن في بيان هذا الأصل من وجوه شتى بكلام يفهمه أبلد العامة، ثم لما صار على أكثر الأمة ما صار أظهر لهم الشيطان الإخلاص في صورة تنقص الصالحين والتقصير في حقوقهم، وأظهر لهم الشرك بالله في صورة محبة الصالحين وأتباعهم».

[٣] "الفتاوى الكبرى" (٥/ ٥٣٥).

كلامه؛ قال: «نَفْيُ الصفات كفر، والتكذيب بأن الله يرى في الآخرة كفر، وإنكار أن يكون الله على العرش كفر، وما في معنى ذلك، فتكفير المعين من هؤلاء بحيث يحكم عليه بأنه مع الكفار، لا يجوز الإقدام عليه إلا أن تقوم عليه الحجة التي يتبين بها أنهم مخطئون»[1].

فتأمل قوله: «من هؤلاء بحيث يحكم عليه بأنه مع الكفار» وقوله : «حتى تقوم عليه الحجة» فأراد بالكفار هنا المشركين ،كما سيأتي تقريره في كلام هذا الشيخ وغيره .

ونحن نحمد الله: قد خلت ديارنا من المبتدعة، أهل هذه المقالات، وقد صار الخلاف بيننا وبين كثير من الناس، في عبادة الأوثان التي أرسل الله الرسل وأنزل الكتب بالنهي عنها ، وعداوة أهلها ، فندعوا إلى ما دعت إليه الرسل، من التوحيد والإخلاص، وننهى عما نهت عنه، من الشرك بالله في ربوبيته وإلاهيته، كما قال تعالى: ﴿**وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ**﴾ [الزخرف: ٤٥].

والقرآن من أوله إلى آخره ، في بيان هذا الشرك والنهي عنه ، وتقرير التوحيد ، كما قال تعالى : ﴿**قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي * فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ**﴾ [الزمر: ١٤، ١٥] وهذا التوحيد من أصولنا بحمد الله، وكاتب هذه الأوراق، يقول: هذا بدعة؛ نعم هو بدعة عند نحو القائلين: ﴿**مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ**﴾ [ص: ٧].

---

[1] "مجموع الفتاوى" (١٢/ ٤٩٧-٥٠٠) باختصار شديد، واكتفى المؤلف بالمقصود، ونص آخره: «وإذا عرف هذا فتكفير " المعين " من هؤلاء الجهال وأمثالهم - بحيث يحكم عليه بأنه من الكفار - لا يجوز الإقدام عليه إلا بعد أن تقوم على أحدهم الحجة الرسالية التي يتبين بها أنهم مخالفون للرسل».

فانظر : كلام شيخ الإسلام رحمه الله الذي لا يقبل اللبس فإنه لما ذكر من تقدمت الإشارة إليهم، من أرباب المقالات ، قال: «وهذا **إذا كان في المقالات الخفية ، فقد يقال إنه فيها مخطئ ضال،** لم تقم عليه الحجة، لكن ذلك يقع في طوائف منهم في الأمور الظاهرة ، التي يعلم العامة والخاصة من المسلمين، أنها من دين الإسلام .

بل اليهود والنصارى والمشركون، يعلمون أن محمداﷺ بعث بها، وكفر من خالفها، مثل أمره بعبادة الله وحده لا شريك له، ونهيه عن عبادة أحد سوى الله، من الملائكة والنبيين والشمس والقمر والكواكب والأصنام وغير ذلك، فإن هذا أظهر شعائر الإسلام، ومثل أمره بالصلاة وإيجابه لها، وتعظيم شأنها.

ومثل معاداة اليهود والنصارى والمشركين والصابئين والمجوس، ومثل تحريم الفواحش، والربا والميسر، ونحو ذلك، ثم تجد كثيرا من رؤوسهم ، وقعوا في هذه الأنواع، **فكانوا مرتدين**» انتهى كلامه رحمه الله تعالى[١].

فتأمل قوله : «مثل معاداة اليهود والنصارى والمشركين .... إلخ» .

والذين قال فيهم شيخ الإسلام: «**إنهم يكونون بمخالفتهم لبعض الشرائع مرتدين**»[٢] هو الذي نقول به، وعليه أئمة الإسلام قاطبة، وهو ينقم منا هذا الرجل، وأمثاله من المنحرفين عن التوحيد.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «**ومن اعتقد أنه بمجرد تلفظه بالشهادة، يدخل الجنة ولا يدخل النار، فهو ضال مخالف للكتاب والسنة والإجماع**» انتهى[٣].

---

[١] مجموع الفتاوى" (٤/ ٥٤) وانظر (١٨/ ٥٤).

[٢] هذا مفهوم كلام شيخ الإسلام الآنف الذكر.

[٣] "مختصر الفتاوى المصرية" (ص٩٣) وهذا صريح في نقض مذهب المرجئة وإبطاله.

وذكر شيخ الإسلام رحمه الله؛ أن الفخر الرازي ، صنف "السر المكتوم، في عبادة النجوم" **فصار مرتداً** إلا أن يكون قد تاب بعد ذلك ، **فقد كفر الرازي بعينه** ، لما زين الشرك[١].

وقال بعد أن ذكر العلة في النهي عن اتخاذ القبور مساجد ، والنهي عن الصلاة عند طلوع الشمس ، وعند غروبها – قال – : «فسد الذريعة أن لا يصلي في هذه الساعة، وإن كان المصلي لا يصلي إلا لله، ولا يدعو إلا الله ، لئلا يفضي إلى دعائها والصلاة لها، وهذا من أسباب الشرك، الذي ضل به كثير من الأولين والآخرين، **حتى شاع ذلك في كثير ممن ينتسب إلى الإسلام** وصنف كتاب على مذهب المشركين مثل أبي معشر البلخي، وثابت بن قرة ، **وأمثالهما ممن دخل في الشرك ، وآمن بالجبت والطاغوت** ، وهم ينتسبون إلى الكتاب ، كما قال تعالى : **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾** [النساء: ٥١]... » انتهى[٢] .

فانظر إلى هذا الإمام الذي نسب عنه من أزاغ الله قلبه: **عدم تكفير المعين!** كيف **ذكر** عن **الفخر الرازي وأبي معشر** وغيرهما من المصنفين المشهورين **أنهم كفروا وارتدوا عن الإسلام** .

---

[١] وهذا نص كلامه رحمه الله في تكفير الرازي بعينه، قال رحمه الله في "بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية" (٣/ ٥٣-٥٤): «وهو –أي الرازي– الذي اتخذ أبا معشر أحد الأئمة الذين اقتدى بهم الأمر في عبادة الأوثان لما ارتد عن دين الإسلام وأمر بالإشراك بالله تعالى وعبادة الشمس والقمر والكواكب والأوثان في كتابه الذي سماه "السر المكتوم في السحر ومخاطبة النجوم" .... وإن كانوا رَجَعوا عن هذه الردة إلى الإسلام فإن سرائرهم عند الله لكن لا نزاع بين المسلمين أن الأمر بالشرك كفر وردة إذا كان من مسلم وأن مدحه والثناء عليه والترغيب فيه كفر وردة إذا كان من مسلم» وقال (٣/ ٤٧٣): «وكذلك ارتد هذا الرازي حين أمر بالشرك وعبادة الكواكب والأصنام وصنف في ذلك كتابه المشهور».

[٢] "اقتضاء الصراط المستقيم" (٢/ ٣٠٢) بتصرف تام المعنى.

وتأمل قوله : «**حتى شاع ذلك في كثير ممن ينتسب إلى الإسلام**»[١] لنعلم ما وقع في آخر هذه الأمة من الشرك بالله.

وقد ذكر الفخر الرازي في رده على المتكلمين، وذكر تصنيفه " السر المكتوم " وقال : «**فهذه ردة صريحة باتفاق المسلمين**»[١].

وقال في " الرسالة السنية " : «وكل من غلا في نبي ، أو رجل صالح ، وجعل فيه نوعا من الإلهية ، مثل أن يقول يا سيدي فلان انصرني ، أو أغثني أو ارزقني ، أو أجبرني أو أنا في حسبك ، ونحو هذه الأقوال ، **فكل هذا شرك** ، **وضلال يستتاب صاحبه فإن تاب وإلا قتل** ، لأن الله تعالى إنما أرسل الرسل ، وأنزل الكتب ، ليعبد وحده ، ولا يجعل معه إله آخر .

والذين يدعون مع الله آلهة أخرى ، مثل المسيح والملائكة والأصنام لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلائق وتنزل المطر وتنبت النبات ، وإنما كانوا يعبدونهم أو يعبدون قبورهم أو صورهم ويقولون : ﴿**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى**﴾ [الزمر: ٣]، ويقولون : ﴿**هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ**﴾ [يونس: ١٨].

فبعث الله رسولهﷺ ينهى أن يدعى أحد من دون الله لا دعاء عبادة ، ولا دعاء استعانة ، قال تعالى : ﴿**قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ**﴾ [الإسراء: ٥٦،

---

[١] وهذا تكفير لهم حيث جعل إسلامهم مجرد انتسابٍ لا صحة له، وهذا ظاهر مراد المؤلف من تكرار التأكيد على هذا اللفظ من كلام شيخ الإسلام.

[١] في "مجموع الفتاوى" (٤/ ٥٥) ونص كلامه رحمه الله: «وأبلغ من ذلك: أن منهم من يصنف في دين المشركين والردة عن الإسلام كما صنف الرازي كتابه في عبادة الكواكب والأصنام وأقام الأدلة على حسن ذلك ومنفعته ورغب فيه وهذه ردة عن الإسلام باتفاق المسلمين وإن كان قد يكون تاب منه وعاد إلى الإسلام».

٥٧] ، قال طائفة من السلف: كان أقوام يدعون المسيح ، وعزيرا والملائكة» ثم ذكر رحمه الله آيات.

ثم قال: «عبادة الله وحده لا شريك له ، هي أصل الدين وهي أصل التوحيد الذي بعث الله به الرسل، وأنزل به الكتب ، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾ [النحل: ٣٦] ، وقال : ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾ [الأنبياء: ٢٥] ، وكان ﷺ يحقق التوحيد ويعلمه أمته ، حتى قال له رجل: ما شاء الله وشئت، قال : «**أجعلتني لله ندا ؟ بل ما شاء الله وحده**» ونهى عن الحلف بغير الله، وقال : «**من حلف بغير الله فقد أشرك**».

وقال في مرض موته: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» يحذر ما فعلوا، وقال : «**اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد**»، وقال: «**لا تتخذوا قبري عيدا، ولا بيوتكم قبورا، وصلوا على حيث ما كنتم، فإن صلاتكم تبلغني**» ولهذا اتفق أئمة الإسلام على: أنه لا يشرع بناء المساجد على القبور، ولا الصلاة عندها، وذلك: لأن من أكبر أسباب عبادة الأوثان، كان تعظيم القبور، ولهذا اتفق العلماء على أن من سلم على النبيﷺ عند قبره، أنه لا يتمسح بحجرته، ولا يقبلها، لأنه إنما يكون لأركان بيت الله، فلا يشبه بيت المخلوق بيت الخالق.

كل هذا لتحقيق التوحيد، الذي هو أصل الدين ورأسه، الذي لا يقبل الله عملا إلا به، ويغفر لصاحبه، ولا يغفر لمن تركه، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا**﴾ [النساء: ٤٨]، ولهذا كانت كلمة التوحيد ، أفضل الكلام وأعظمه» انتهى[١].

---

[١] "مجموع الفتاوى" (٣٩٥-٣٩٨).

قلت : فلم يبق بحمد الله لمرتاب حجة في كلام العلماء ، بعد هذا التفصيل والإيضاح والبيان ، وما أحسن ما قاله العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى :

والعلمُ يدخلُ قَلْبَ كلِّ موفَّقٍ   من غير بوَّابٍ ولا استئذان

ويرده المحروم من خذلانه   لا تشقنا اللهم بالخذلان

وله رحمه الله تفصيل حسن، في "مدارج السالكين"[1] في ذكر أجناس ما يتاب منه، وهي : أثنا عشر جنسا، مذكورة في كتاب الله عز وجل؛ الأول: الكفر، والثاني: الشرك، فأنواع الكفر خمسة، كفر التكذيب وكفر استكبار وإباء مع التصديق، وكفر إعراض، وكفر شك، وكفر نفاق وبين هذه الأنواع.

ثم قال: «وأما الشرك فهو نوعان: أكبر وأصغر؛ فالأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة منه، وهو أن يتخذ من دون الله ندا، يحبه كما يحب الله، وهو الشرك الذي تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين ، ولهذا قالوا لآلهتهم في النار : ﴿**تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الشعراء: ٩٧، ٩٨] مع إقرارهم بأن الله وحده خالق كل شيء ، وربه ومليكه، وأن آلهتهم لا تخلق ولا ترزق، ولا تميت ولا تحيي، وإنما كانت هذه التسوية في المحبة، والتعظيم، والعبادة، كما هو حال مشركي العالم .

بل كلهم يحبون معبوداتهم، ويعظمونها ويوالونها من دون الله، وكثير منهم بل أكثرهم: يحبون آلهتهم، أعظم من محبة الله، ويستبشرون بذكرهم، أعظم من استبشارهم إذا ذكر الله وحده، ويغضبون إذا تنقص معبوداتهم، وآلهتهم من المشايخ، أعظم مما يغضبون إذا تنقص أحد رب العالمين.

[1] "مدارج السالكين" (١/ ٣٤٤-٣٥٢).

وإذا انتهكت حرمة من حرمات آلهتهم، ومعبوديهم غضبوا غضب الليث إذا حرب، وإذا انتهكت حرمات الله لم يغضبوا لها، بل إذا قام المنتهك لها بإطعامهم شيئا أعرضوا عنه ولم تستنكر له قلوبهم ، وقد شاهدنا هذا نحن وغيرنا منهم جهرة.

وترى أحدهم قد اتخذ ذكر إلهه ومعبوده من دون الله، على لسانه إن قام وإن قعد وإن عثر وإن استوحش فذكر إلهه ومعبوده من دون الله، هو الغالب على قلبه ولسانه، وهو لا ينكر ذلك، ويزعم: أنه باب حاجته إلى الله، وشفيعه عنده وسيلته إليه، وهكذا كان عباد الأصنام سواء، وهذا القدر هو ا لذي قام بقلوبهم، وتوارثه المشركون بحسب اختلاف آلهتهم، فأولئك كانت آلهتهم من الحجر، وغيرهم اتخذوها من البشر.

قال الله تعالى حاكيا عن أسلاف هؤلاء المشركين : ﴿**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**﴾ [الزمر: ٣] ثم شهد عليهم بالكذب والكفر، وأخبر انه لا يهديهم، فقال : ﴿**إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ**﴾ [الزمر: ٣]، فهذه حال من اتخذ من دون الله وليا، يزعم أنه يقربه إلى الله، وما أعز من تخلص من هذا؟ بل ما أعز من لا يعادي من أنكره؟

والذي قام في قلوب هؤلاء المشركين، وسلفهم: أن آلهتهم تشفع لهم عند الله، وهذا عين الشرك، وقد أنكر الله عليهم ذلك في كتابه وأبطله، وأخبر أن الشفاعة كلها له، وأنه لا يشفع عنده أحد إلا لمن أذن له أن يشفع فيه، ورضي قوله وعمله، وهم أهل التوحيد، الذين لم يتخذوا من دون الله شفعاء ، فإنه يأذن سبحانه لمن يشاء في الشفاعة لهم ، حيث لم يتخذوهم شفعاء من دونه، فيكون أسعد الناس بشفاعة من يأذن له، وهو صاحب التوحيد، الذي لم يتخذ شفيعا من دون الله.

والشفاعة: التي أثبتها الله ورسوله؛ هي الشفاعة الصادرة عن إذنه لمن وحده، والتي نفاها الله: الشفاعة الشركية في قلوب المشركين، المتخذين من دون الله شفعاء، فيعاملون بنقيض قصدهم من شفاعتهم، ويفوز بها الموحدون.

فتأمل قول النبيﷺ لأبي هريرة -وقد سأله: من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟- قال: «**أسعد الناس بشفاعتي ، من قال لا إله إلا الله**» كيف جعل أعظم الأسباب، التي تنال بها شفاعته: تجريد التوحيد، عكس ما عند المشركين: أن الشفاعة تنال باتخاذهم شفعاء، وعبادتهم، وموالاتهم من دون الله ، فقلب النبيﷺ ما في زعمهم الكاذب، وأخبر: أن سبب الشفاعة تجريد التوحيد، فحينئذ يأذن الله للشافع أن يشفع.

ومن جهل المشرك: اعتقاده أن من اتخذ وليا أو شفيعا، أنه يشفع له وينفعه عند الله، كما تكون خواص الملوك ، والولاة تنفع من والاهم ، ولم يعلموا أن الله لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، ولا يأذن في الشفاعة إلا لمن ورضي قوله وعمله، كما قال تعالى : في الفصل الأول ﴿**مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ**﴾ [البقرة: ٢٥٥] وفي الفصل الثاني : ﴿**وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى**﴾ [الأنبياء: ٢٨] وبقي فصل ثالث: وهو أنه لا يرضى من القول والعمل إلا التوحيد ، وأتباع الرسولﷺ .

وعن هاتين الكلمتين، يسأل الأولون والآخرون، كما قال أبو العالية : «كلمتان يسأل عنهما الأولون والآخرون: ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟».

فهذه ثلاثة أصول، تقطع شجرة الشرك من قلب من وعاها وعقلها، لا شفاعة إلا بإذنه، ولا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله، ولا يرضى من القول والعمل إلا توحيده، واتباع رسوله ﷺ ، فإن الله تعالى لا يغفر شرك العادلين به غيره ، كما قال تعالى: ﴿**ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ**﴾ [الأنعام: ١] وأصح القولين : يعدلون به غيره في العبادة ،والموالاة ، والمحبة كما في الآية الأخرى : ﴿**تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُمْ**

بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء: ٩٧، ٩٨] وكما في آية البقرة: ﴿**يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**﴾ [المائدة: ٥٤].

وترى المشرك يكذب حالُه وعملُه قولَه، فإنه يقول: لا نحبهم كحب الله، ولا نسويهم بالله، ثم يغضب لهم، ولحرماتهم إذا انتهكت، أعظم مما يغضب لله، ويستبشر بذكرهم، ويتبشبش به، سيما إذا ذكر عنهم ما ليس فيهم، من إغاثة اللهفات، وكشف الكربات، وقضاء الحاجات، وأنهم باب بين الله وعباده، فترى المشرك يفرح، ويسر ويحن قلبه، ويهيج منه لواعج التعظيم، والخضوع لهم والموالاة.

وإذا ذكرت له الله وحده وجردت توحيده لحقته وحشة، وضيق وحرج، ورماك بتنقص الآلهة التي له، وربما عاداك، رأينا والله منهم هذا عيانا، ورمونا بعداوتهم، وبغوا لنا الغوائل، والله مخزيهم في الدنيا والآخرة، ولم تكن حجتهم إلا أن قالوا: كما قال إخوانهم: عاب آلهتنا، فقال هؤلاء: تنقصتم مشايخنا، وأبواب حاجاتنا إلى الله.

وهكذا قال النصارى للنبيﷺ، لما قال لهم: إن المسيح عبد، قالوا: تنقصت المسيح وعبته، وهكذا قال أشباه المشركين، لمن منع اتخاذ القبور أوثانا تعبد ومساجد، وأمر بزيارتها على الوجه الذي أذن الله فيه، ورسوله، قالوا: تنقصت أصحابها، فانظر إلى هذا التشابه بين قلوبهم، حتى كأنهم قد تواصوا به ﴿**مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا**﴾ [الكهف: ١٧].

وقد قطع تعالى الأسباب، التي تعلق بها المشركون جميعها ، قطعا يعلم من تأمله ، وعرفه : أن من اتخذ من دون الله وليا ، أو شفيعا فهو ﴿**كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾ [العنكبوت: ٤١]، فقال تعالى : ﴿**قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا**

﴿لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ*وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ: ٢٢-٢٣].

فالمشرك إنما يتخذ معبوده، لما يحصل له به من النفع، والنفع لا يكون إلا ممن فيه خصلة من هذه الأربع، إما مالك لما يريده عابده منه، فإن لم يكن مالكاً، كان شريكاً للمالك، فإن لم يكن شريكا للمالك، كان معينا له وظهيراً، فإلَّم يكن معيناً ولا ظهيراً، كان شفيعا عنده.

فنفى سبحانه هذه المراتب الأربع، نفيا مرتباً، منتقلا من الأعلى إلى ما دونه، فنفى الملك، والشركة، والمظاهرة، والشفاعة التي يظنها المشرك، وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك، وهي الشفاعة بإذنه، فكفى بهذه الآية نورا وبرهاناً، ونجاة وتجريدا للتوحيد، وقطعا لأصول الشرك وموادّه، لمن عقلها.

والقرآن مملوء من أمثالها ونظائرها، ولكن أكثر الناس، لا يشعر بدخول الواقع تحته، وتضمنه له، ويظنه في نوع، وقوم قد خلوا من قبل، ولم يعقبوا وارثاً، وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن.

ولعمر الله: إن كان أولئك قد خلوا، فقد ورثهم من هو مثلهم، وشر منهم ودونهم، وتناول القرآن لهم، كتناوله لأولئك، ولكن الأمر كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة ، إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية».

وهذا لأنه إذا لم يعرف الجاهلية، والشرك، وما عابه القرآن وذمه، وقع فيه وأقره، ودعا أهل الجاهلية، أو نظيره أو شر منه، أو دونه، فينتقض بذلك عرى الإسلام، ويعود المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، والبدعة سنة والسنة بدعة، ويكفُر الرجل بمحض الإيمان وتجريد التوحيد، ويبدع بتجريد متابعة الرسول، ومفارقة الأهواء والبدع، ومن له بصيرة وقلب حي يرى ذلك عياناً، فالله المستعان» انتهى.

قلت : فتأمل قول شيخ الإسلام، رحمه الله المتقدم: «وذلك لأن من أكبر أسباب عبادة الأوثان ، كان تعظيم القبور ، ولهذا اتفق العلماء على أنه من سلم على النبيﷺ عند قبره، أنه لا يتمسح بحجرته ولا يقبلها ، فلا يشبه بيت المخلوق ببيت الخالق، كل هذا لتحقيق التوحيد، الذي هو أصل الدين ورأسه، الذي لا يقبل الله عملا إلاّ به، ولا يغفر لمن تركه ....» إلى آخر كلامه[1].

وتأمل قول العلامة ابن القيم، رحمه الله : «فالأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة منه، وهو الشرك الذي تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين، كما هو حال مشركي العرب، بل كلهم يحبون معبوداتهم، ويعظمونها، ويوالونها من دون ا لله».

إلى قوله : «وقد شاهدنا هذا نحن وغيرنا منهم جهرة ... ».

إلى قوله : «وهكذا كان عباد الأصنام سواء ، قال الله تعالى حاكيا عن أسلاف هؤلاء المشركين: ﴿**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**﴾ [الزمر: ٣] ثم شهد عليهم بالكذب والكفر، وأخبر انه لا يهديهم، فقال : ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ**﴾ [الزمر: ٣]».

إلى قوله : «وترى المشرك يكذب حالُه وعملُه قولَه، فإنه يقول: لا نحبهم كحب الله، ولا نسويهم بالله، ثم يغضب لهم، ولحرماتهم إذا انتهكت، أعظم مما يغضب لله، وإذا ذكرت له الله وحده وجردت له توحيده، لحقته وحشة وضيق، وحرج ..» إلى آخر ما تقدم من كلامه، وهذا هو الواقع من كثير من أهل هذه الأزمنة، فتأمله جملةً جملةً.

وقوله: «ولكن أكثر الناس لا يشعر بدخول الواقع تحته، وتضمنه له.. » إلخ، **والمقصود: بيان ما كان عليه شيخ الإسلام، وإخوانه من أهل السنة والجماعة من إنكار الشرك الأكبر الواقع في زمانهم، وذكرهم الأدلة من الكتاب والسنة، على كفر من فعل**

[1] "مجموع الفتاوى" (٣٩٩-٤٠٠).

هذا الشرك، أو اعتقده فإنه بحمد الله يهدم ما بناه ـ هذا الجاهل المفتري ـ على شفا جرف هار .

وتأمل أيضا: ما ذكره العلامة ابن القيم، بعد ذكره ما تقدم، وذكره أنواعاً من الشرك، كما هو الواقع في زمانه، وما بعده ينبغي أن نذكره هنا أيضا؛ قال: «ومن أنواعه: طلب الحوائج من الموتى، والاستعانة بهم، والتوجه إليهم، وهذا أصل شرك العالم، فإن الميت قد انقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً، فضلاً لمن استغاث به، وسأله قضاء حاجته، أو سأله أن يشفع له إلى الله فيها، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده، كما تقدم، فإنه لا يقدر أن يشفع له عند الله إلا بإذنه، والله لم يجعل استعانته وسؤاله سبباً لإذنه كمال التوحيد، فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الإذن، وهو بمنزلة من استعان في حاجة بما يمنع حصولها، وهذه حالة كل مشرك.

والميت محتاج إلى من يدعو له، ويترحم عليه، ويستغفر له، كما وصانا النبيﷺ إذا رزقنا قبور المسلمين، أن نترحم عليهم، ونسأل لهم العافية والمغفرة، فعكس المشركون هذا، وزاروهم زيارة العبادة، واستقضاء الحوائج، والاستعانة بهم، وجعلوا قبورهم أوثانا تعبد، وسموا قصدها حجاً، واتخذوا عندها الوقفة، وحلق الرؤوس.

فجمعوا بين الشرك بالمعبود، وتغيير دينه، ومعاداة أهل التوحيد، ونسبتهم إلى التنقص بالأموات، وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك، وأولياءه الموحدين له، الذين لم يشركوا به شيئا بذمهم، وعيبهم ومعاداتهم، وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص، إذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا، وأنهم أمروهم به وأنهم يوالونهم عليه.

وهؤلاء هم أعداء الرسل والتوحيد، في كل زمان ومكان، وما أكثر المستجيبين لهم، ولله در خليله إبراهيم، حيث يقول: ﴿**وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ**﴾ [إبراهيم: ٣٥، ٣٦].

وما نجا من شرك هذا الشرك الأكبر، إلا من جرد توحيده لله، وعادى المشركين في الله، وتقرب بمقتهم إلى الله، وجرد رجاءه لله، وذلّه لله، وتوكله على الله، واستعانته بالله، والتجاءه إلى الله، واستغاثته بالله، وأخلص قصده متبعا لأمره، متطلبا لمرضاته، إذا سألَ سألَ الله، وإذا استعانَ استعانَ بالله، وإذا عمل عمل لله، فهو لله وبالله، ومع الله» انتهى[١].

فتأمل قوله : «وما أكثر المستجيبين لهم» وقوله : «وما نجا من شرك هذا الشرك الأكبر، إلا من جرد التوحيد لله، وعادى المشركين في الله، وتقرب بمقتهم إلى الله..» إلى آخره، يتبين لك : خطأ ذلك المفتون وضلاله[٢].

خصوصا إن عرفت: أن هذا الشرك الأكبر، قد وقع في زمانهما **وكفرا أهله بالكتاب والسنة ،والإجماع**، وبينا أنه لم ينج منه إلا القليل، الذين هذا وصفهم ، وهم الغرباء في الأمة، الذين أخبر بهم النبيﷺ بقوله : «**ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم ، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك**».

ولا ريب: أن الله تعالى لم يعذر أهل الجاهلية، الذين لا كتاب لهم ، بهذا الشرك الأكبر ، كما في حديث عياض بن حمار عن النبيﷺ: «**إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب**» فكيف يعذر أمة كتاب الله بين أيديهم، يقرؤونه، ويسمعونه، وهو حجة الله على عباده؟[٣] كما قال تعالى : ﴿**هَـٰذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ [إبراهيم: ٥٢].

---

[١] "مدارج السالكين" (١/ ٣٥٣-٣٥٤).

[٢] ففي كلام الشيخين الذي انتقاه المؤلف النصوص الواضحة البينة على تكفير من وقع في أمثال تلك الأعمال الشركية، وعدم إعذارهم بالمعاذير التي يتذرع بها متبعوا المتشابه من كلام الإمامين.

[٣] فالعذر عن هؤلاء أبعد من غيرهم، حيث أنهم يقرءون القرآن، ويسمعون السنة، وكلام العلماء بينهم منشور ومشهور، ومع ذلك يجهلون التوحيد! ويتحذلقون في معرفة علوم الطبيعة والسياسة والتاريخ والأدب! ولا يجهلون

وكذلك سنة رسول الله ﷺ التي بين فيها افتراق الأمة ، إلى ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة ، وهي الجماعة .

ثم يجيء من يموّه على الناس، ويفتنهم عن التوحيد، بذكر عبارات لأهل العلم، يزيد فيها وينقص، وحاصلها: الكذب عليهم ، لأنها في أناس لهم إسلام ودين، وفيهم مقالات كفرهم بها طائفة من أهل العلم، وتوقف بعضهم في تكفيرهم حتى تقوم عليهم الحجة، ولم يذكرهم بعض العلماء في جنس المشركين، وإنما ذكروهم في الفساق، كما ستقف عليه في كلام العلامة ابن القيم، إن شاء الله تعالى .

من ذلك شيئاً! وتوحيد الله الذي لا شك فيه ولا لبس، وكل العلوم الشرعية دالة عليه، والحجج العقلية تقتضيه، والسلامة الفطرية موصلة إليه، ومع ذلك يزعمون الجهل به، ثم يعفى عنهم به!

فهؤلاء ناقضوا لا إله إلا الله بتفويتهم شرطين مهمين من شروطها التي لا تصح إلا بها، وهما (العلم بها المنافي للجهل) و(الانقياد لها المنافي للترك والاعراض) فجمعوا بين الجهل بتوحيد الله، والاعراض عن دين الله عن تعلمه والعمل به! فأنّى يُعذرون؟

[فصلٌ[1]]

ومن تمويهه: الذي كتبه في أوراقه ، مما نسبه لشيخ الإسلام، في قوله: «وكان قتال الخوارج بالنصوص الثابتة، وبإجماع الصحابة والتابعين، وعلماء المسلمين».

ثم قال : «فهذا كلامهﷺ في هؤلاء العباد، وأمره بقتالهم، فعلم أن أهل الذنوب الذين يعترفون بذنوبهم، أخف ضرراً على المسلمين من أهل البدع، الذين يبتدعون بدعة، يستحلون بها عقوبة من يخالفهم، وتكفيره».

ثم قال: «وهؤلاء بذلك كفروا الأمة، وضللوها سوى طائفتهم، الذين يزعمون أنها الطائفة المحقة، فجعلوا طائفتهم صفوة بني آدم»[2].

أقول : هذا الكلام من شيخ الإسلام، إنما هو في الخوارج الذين كفروا أصحاب رسول اللهﷺ، الذين هم صفوة الأمة، فكيف ينزل في طائفة عرفوا للصحابة فضلهم؟ وتولوهم في الدين، وأحبوهم واقتدوا بهم وكفروا من كفره الصحابة رضي الله عنهم، ممن ارتد عن الإسلام، ودعوا الناس إلى إخلاص العبادة لله، ونهوهم عن اتخاذ الأوثان وعبادتها.

وأطلقوا الكفر على المشركين، طاعة لرب العالمين، وإيمانا بما أنزله في كتابه المبين، كما قال تعالى: ﴿**وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾ [آل عمران: ٨٠] وقوله: ﴿**أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ * مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ * الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ**﴾ [ق: ٢٤ - ٢٦].

---

[1] من زيادتي لفصل الكلام التالي عن سابقه، وشروعه في مبحثٍ جديد بنقد كلام آخر للمردود عليه.

[2] "منهاج السنة" (٥/ ١٥٤).

وكقوله: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٧] فحكم الله فيمن كان الشرك وصفه أنه كافر، وأن عمله حابط، وأنه في النار خالداً، والآية نزلت في مشركي أهل مكة.

وكقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ [غافر: ١٠] إلى قوله : ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا﴾ [غافر: ١٢].

وكقوله : ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾ [غافر: ٧٣، ٧٤] وقد أقروا لله بالربوبية وشركهم صار في الإلهية، وقوله : ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

فالله تعالى كفر في هذه الآيات من دعا معه غيره، فكيف ينزل من تمسك بكتاب الله، ودعا إلى توحيد الله وطاعته، وأنكر الشرك بالله، ونهى عن معصية الله، واتبع سبيل المؤمنين وأصحابه، منزلة الخوارج؟!

ولا ريب أن هذا ضلال مبين، وانحراف عن سبيل المؤمنين.

وقد سلف الوعد: بأن نذكر ما قاله العلامة بن القيم، قال رحمه الله: «وفسق الاعتقاد كفسق أهل البدع، الذين يؤمنون بالله ورسوله، واليوم الآخر، ويحرمون ما حرمه الله ورسوله ويوجبون ما أوجبه الله، لكن ينفون كثيرا مما أثبته الله ورسوله، **جهلاً وتأويلا، وتقليدا** للشيوخ ويثبتون ما لم يثبته الله ورسوله كذلك، وهؤلاء كالخوارج المارقة، وكثير من الروافض، والقدرية، والمعتزلة، وكثير من الجهمية، الذين ليسوا غلاة في التجهم.

وأما غالية الجهمية: فكغلاة الرافضة، وليس للطائفتين في الإسلام نصيب، ولذلك أخرجهم جماعة من السلف، من الثنتين وسبعين فرقة، وقالوا: هم مباينون للملة..».

إلى أن قال : «فتوبة هؤلاء الفساق، من جهة الاعتقادات الفاسدة، بمحض اتباع السنة، ولا يكتفي منهم بذلك أيضاً، حتى يبينوا فساد ما كانوا عليه من البدعة، إذ التوبة من كل ذنب هي بفعل ضده» انتهى المقصود[1].

فتأمل كيف جعل أهل هذه البدع، في جنس الفساق، لأنهم يؤمنون بالله ورسوله، واليوم الآخر.

وقولنا؛ في هؤلاء المبتدعة -الذين ذكرهم شيخ الإسلام وذكرهم العلامة ابن القيم ، قولهما وقول السلف ،والأئمة فيهم- ننكر على كلِّ مبتدع بدعته، ونعتقد فساد ما أصلوه من أصول بدعهم، فنحن بحمد الله متبعون لا مبتدعون، ننكر الشرك الأكبر، ونكفر أهله، وننكر البدع، ونناظر أهلها بالسنة، فله الحمد على ما هدانا.

وأما أهل الإشراك: فقد عرفت ما قال الله فيهم، وما قرره هذا الإمام، وغيرُه من العلماء من تكفيرهم بالشرك في ا لإلهية، ومخالفة الشريعة، وملة الشرك: ملة كفر، كما قال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾** [الحج: ١٧].

فأهل الإيمان هم أهل الحق، ما عداهم من الملل الخمس، فملل كفر قطعاً، ومن لم يعرف هذا ولم يفهم هذا، ولم يفهم الفرق، فهو جاهل مفتون **﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾** [المائدة: ٤١].

---

[1] "مدارج السالكين" (١/ ٣٦٩-٣٧٠).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى ، في "الفتاوى المصرية" : «قد قال بعض الناس إنه تجوهر، وهذا قول قوم داوموا على الرياضة مدة، فقالوا: لا نبالي بما علمنا، وإنما الأمر والنهي رسم العوام، ولو تجوهروا سقط عنهم، وحاصل النبوة يرجع إلى الحكمة والمصلحة، والمراد منها ضبط العوام، ولسنا من العوام فندخل في التكليف، لأنا قد تجوهرنا وعرفنا الحكمة.

فهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى، بل هم أكفر أهل الأرض، فإن اليهود والنصارى آمنوا ببعض، وكفروا ببعض، وهؤلاء كفروا بالجميع، خارجون عن التزام شيء من الحق».

ثم قال : «ومن جحد بعض الواجبات الظاهرة المتواترة ، أو جحد بعض المحرمات الظاهرة، كالفواحش والظلم، والخمر والزنا والربا، أو جحد حل بعض المباحات الظاهرة المتواترة، كالخبز واللحم والنكاح، فهو كافر مرتد، يستتاب فإن تاب وإلا قتل».

قلت: ولم يقل شيخ الإسلام: إنهم يعذرون بالجهل، بل كفرهم، وقال: إنهم ارتدوا ، قال: «ومن أضمره فهو منافق، لا يستتاب عند أكثر العلماء، ومن هؤلاء: من يستحل بعض الفواحش؛ كمواخات النساء الأجانب، والخلوة بهن والمباشرة لهن، في عامة أن يحصل لهن البركة، بما يفعله معهن، وإن كان محرما في الشريعة.

وكذلك من يستحل ذلك من المردان، ويزعم أن التمتع بالنظر إليهم، ومباشرتهم، هو طريق لبعض السالكين، حتى يترقى في محبة المخلوق، إلى محبة الخالق، ويأمرون بمقدمات الفاحشة الكبرى، كما يستحلها من يقول: إن اللواط مباح بملك اليمين ، هؤلاء كلهم كفار باتفاق أئمة المسلمين» انتهى[1].

---

[1] هذا والذي قبله بقليل كله في موطن واحد من "مختصر الفتاوى المصرية" (٢٤٥-٢٤٧).

قلت : فنحن ـ بحمد الله ـ ننكر هذه الكفريات، ونعادي أهلها، فإن أبى المنحرف، إلا أن يطعن علينا بقوله: كفرتم أمة محمد!

قلنا: معاذ الله؛ لا نكفر مسلما، ولا نجحد ما أعطى الله أمة محمدﷺ أكثر الأنبياء تابعا يوم القيامة.

لكن: كلما كان أقرب إلى عهده فالخير فيهم أكثر والبدعة فيهم أقل وأندر، وكلما تباعد عن ذلك العهد كان بالعكس.

وحدث في الأمة ما حدث، وعمت البلوى بما وقع من تلك الشرور، التي ذكرها شيخ الإسلام، وتلميذه العلامة ابن القيم، رحمهما الله تعالى، وغيرهما، كابن وضاح، وأبي شامة في "الباعث على إنكار البدع والحوادث" فلقد صدقوا وبينوا وفرقوا بين الهدى والضلال.

فتأمل: ما ذكره الله في كتابه، عن أهل الكتاب، يتبين لك الصواب، ويظهر لك: أن بعد تلك القرون المفضلة ، انتشرت البدع ، وحدث في الأمة ن ما قد ذكره شيخ الإسلام فيما تقدم، وذكر: أن منهم من هو أكفر من اليهود والنصارى، كالباطنية الإسماعيلية، والقرامطة ونحوهم.

ومن هذه الطوائف: حدث البناء على القبور والمشاهد، وحدث الغلو ومقدمات الشكر وعمت البلوى بهذه الأمور فأنكر ذلك العلماء، وحكوا ما قد جرى من الشرك وعبادة الأوثان، حتى وقع ذلك فيمن يدعي الزهد والعبادة، وبلغ الشيطان من كثير الأمة مراده.

وصنف العلماء في غربة الإسلام كتباً، يعرفها الخواص من أهل العلم والعوام، والواقع من ذلك لا يخفى على ذوي البصائر، ويكفي طالب الحق: ما قال النبيﷺ لأم

المؤمنين حين قالت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال : «**نعم؛ إذا كثر الخبث**» وقد ذكرنا ما ذكره العلماء، مما حدث في أواخر هذه الأمة، وتواتر وشاهدناه .

وقد تقدم قول العلامة ابن القيم، رحمه الله -لما ذكر ما وقع في الأمة من الشرك-: «وما أعز من يتخلص من هذا؟ بل ما أعز من لا يعادي من أنكره؟»[1] فلقد صدق وبيّن، فإذا كان هذا قد وقع في القرن السابع وقبله، فكيف بقرون انقرض فيها العلم، وظهر فيها الجهل والفساد والظلم؟! فالله المستعان.

وقد اغتر كثير من الناس في أمر الدين، بمجرد التلفظ بلا إله إلا الله، مع الجهل بمدلولها، ومخالفة مضمونها، قولاً وعملاً واعتقاداً، فيُثبت ما نفته لا إله إلا الله، من الشرك بالله، وينفي ما أثبتته لا إله إلا الله، من إخلاص العبادة لله، كما قال تعالى : ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ**﴾ [البينة: ٥] .

فإذا دعا غير الله، واستغاث به فيما لا يقدر عليه إلا الله، وقال له الموحدون: لا يعبد إلا الله، والعبادة بجميع أنواعها مقصورة على الله.

قال: تنقصتم الصالحين!

وأمثال ذلك من العبارات، المتضمنة للكفر بمعنى لا إله إلا الله، والإنكار على من دعا إلى مضمون لا إله إلا الله، وهو إخلاص العبادة لله، كما قال تعالى : ﴿**وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ**﴾ [الزمر: ٤٥] فما أشبه هؤلاء بمن نزلت فيهم هذه الآية.

---

[1] "مدارج السالكين" (١/ ٣٤٩).

[فصل[١]]

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى : «بناء المساجد على القبور محرم، ولو بنى عليها غير مسجد نهي عنه باتفاق العلماء، فهذا من وسائل الشرك المحرمة».

وقال رحمه الله : «واعلم أن لفظ الدعاء، والدعوة في القرآن، يتناول معنيين: دعاء العبادة، ودعاء المسألة، وكل عابد سائل وكل سائل عابد، وأحد الاسمين يتناول الآخر عند تجرده عنه، وإذا جمع بينهما، فإنه يراد بالسائل الذي يطلب جلب المنفعة، ودفع المضرة بصيغ السؤال والطلب.

فأقول : انظر إلى هذا التهافت والتخليط، والتناقض، ولا ريب: أن الكفر ينافي الإيمان ، ويبطله ، ويحبط الأعمال، بالكتاب والسنة، وإجماع المسلمين ، قال الله تعالى : **﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾** [المائدة: ٥].

ويقال: وكل كافر قد أخطأ، والمشركون لا بد لهم من تأويلات، ويعتقدون أن شركهم بالصالحين، تعظيم لهم، ينفعهم ويدفع عنهم، فلم يعذروا بذلك الخطأ[٢]، ولا بذلك التأويل، بل قال الله تعالى : **﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا**

---

[١] من إضافتي لما فيه من كلام جديد يرد به المؤلف على موطن آخر من كلام المخالف.

[٢] الخطأ الذي يعفو عنه ربنا عز وجل؛ هو: فوات القصد، والقصد شرط في التكليف والمؤاخذة، ومن وقع في مكفِّرٍ عن طريق الخطأ من هذا النوع فهو لا يكفر، لأن الله تعالى تجاوز عن الأمة الخطأ والنسيان، أما كان بفوات العلم فهو (الجهل) وإن سمي خطأ بجامع مخالفة الصواب، لأن كل الذنوب مخالفة للصواب، كما قال تعالى: **﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾** [الإسراء: ٣١] ومنه الخطيئة، وهي الذنب، فعلى هذا فالخطأ على ضربين:

[١] خطأ يقابل القصد، هذا يعذر به الإنسان مطلقاً، ويقال عنه: مخطئ، قال تعالى: **﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾** [البقرة: ٢٨٦].

[٢] وخطأ يقابل الصواب، ويشمل كل الذنوب، فمنه ما يخرج من الملة، ومنه ما لا يخرج من الملة، وعلى هذا فمنه ما يعذر فاعله ومنه ما لا يعذر، ويقال عنه: خاطئ، أي مذنب، كما قال تعالى: **﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾** [يوسف: ٢٩] أي المذنبين.

﴿لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤] فأين ذهب عقل هذا من هذه الآيات، وأمثالها من الآيات المحكمات؟! والعلماء رحمهم الله تعالى سلكوا منهج الاستقامة وذكروا باب حكم المرتد، ولم يقل أحد منهم: أنه إذا قال كفراً، أو فعل كفراً، وهو لا يعلم أنه يضاد الشهادتين: أنه لا يكفر جهله!

وقد بين الله في كتابه: أن بعض المشركين جهال مقلدون، فلم يدفع عنهم عقاب الله بجهلهم، وتقليدهم، كما قال تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾ إلى قوله: ﴿عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [الحج: ٣-٤].

ثم ذكر الصنف الثاني: وهم المبتدعون، بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ [الحج: ٨] فسلبهم العلم والهدى، ومع ذلك فقد أغتر بهم الأكثرون، لما عندهم من الشبهات والخيالات، فضلوا وأضلوا، كما قال تعالى في آخر السورة: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ [الحج: ٧١] وتقرير هذا المقام، قد سلف في كلام العلامة ابن القيم، وكلام شيخ الإسلام.

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى أيضاً في طبقات الناس ـ من هذه الأمة وغيرها ـ: «الطبقة السابعة عشر: طبقة المقلدين، وجهال الكفرة وأتباعهم، وحميرهم الذين هم تبع، يقولون: إنا وجدنا آباءنا على أمة، ولنا أسوة بهم».

قال: «وقد اتفقت الأمة على أن هذه الطبقة كفار، وكانوا جهالاً، مقلدين لرؤسائهم وأئمتهم، إلا ما يحكي عن بعض أهل البدع، أنه لا يحكم لهؤلاء بالنار،

وجعلهم بمنزلة من لم تبلغه الدعوة، وهذا مذهب لم يقل به أحد من أئمة المسلمين، لا الصحابة ولا التابعين، ولا من بعدهم.

وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما من مولود إلا ويولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**» فأخبر أن أبويه ينقلانه عن الفطرة، إلى اليهودية، أو النصرانية أو المجوسية، ولم يعتبر في ذلك غير المربي، والمنشأ على ما عليه الأبوان، وصح عنه أنه قال: «**إن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة**» وهذا المقلد ليس بمسلم، وهو عاقل مكلف، والعاقل المكلف لا يخرج عن الإسلام، أو الكفر».

قال: «والإسلام: توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، والإيمان برسوله واتباعه فيما جاء به فما لم يأت العبد بهذا فليس بمسلم وإن لم يكن معاندا فهو كافر جاهل، وغاية هذه الطبقة: أنهم كفار جهال، غير معاندين، وعدم عنادهم لا يخرجهم عن كونهم كفاراً، فإن الكافر من جحد توحيد الله، وكذب رسوله، إما عناداً وإما جهلاً، وتقليداً لأهل العناد.

وقد أخبر الله في القرآن في غير موضع، بعذاب المقلدين لأسلافهم من الكفار، وأنهم يتحاجون في النار، وأن الأتباع يقولون: ﴿**رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [الأعراف: ٣٨]»[1] انتهى ملخصاً؛ وهذه الآية لها نظائر كثيرة في القرآن، والحمد لله على حسن البيان.

وقد دلت الآيات المحكمات: على كفر من أشرك بالله غيره في عبادته، قال تعالى: ﴿**وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**﴾ [الزمر: ٨].

---

[1] "طريق الهجرتين" (ص٤١١).

ولها نظائر كثيرة سوى ما تقدم، كقوله: ﴿قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ٣٧]، ففي هذه الآية من البيان: أن معظم شركهم هو دعاؤهم ، وأنه كفر بالله ، فلا اعتبار بمن أعمى الله بصيرته ، عن تدبر كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ.

وهذا الجاهل يدعي أنه ينقل من "منهاج السنة" لشيخ الإسلام، وقد عرفت ما في ذلك من فساد قصده، ووضعه العبارة في غير من هي له، ومن قصد لها.

وهذا كلام شيخ الإسلام رحمه الله في "المنهاج" يطابق ما قد أسلفناه عنه في هذا الجواب؛ **قال رحمه الله تعالى**: «وأشهر الناس بالردة ، خصوم أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأتباعه ، كمسيلمة الكذاب، وأتباعه وغيرهم.

ومن أظهر الناس ردة: الغالية الذين حرقهم علي رضي الله عنه بالنار، لما ادعوا فيه الإلهية، والسبئية أتباع عبد الله بن سبأ، الذي أظهر سب أبي بكر وعمر.

وأول من ظهر عنه دعوة النبوة، من المنتسبين إلى الإسلام: المختار بن أبي عبيد، وكان من الشيعة، فعلم: أن أعظم الناس ردة، هم في الشيعة أكثر منهم في سائر الطوائف، ولهذا لا يعرف أسوأ ردة من ردة الغالية، كالنصيرية ومن ردة الإسماعيلية الباطنية، ونحوهم»[1] انتهى.

ومن المعلوم: أن كثيرا من هؤلاء جهال، يظنون أنهم على الحق، ومع ذلك حكم شيخ الإسلام بسوء ردتهم.

وقال أيضاً: «وأشهر الناس بقتال المرتدين ، هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، فلا يكون المرتدون في طائفة أكثر مما في خصوم أبي بكر»[2] انتهى.

---

[1] "منهاج السنة" (٣/ ٤٥٨) بتصرف.

[2] "منهاج السنة" (٣/ ٤٥٩).

أخرج البخاري ومسلم في صحيحهما، عن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «**يرد علي يوم القيامة رهط من أصحابي، أو قال من أمتي ، فيجلون عن الحوض، فأقول: أصحابي أصحابي، فيقال: إنه لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى**» وفي رواية : «**فيجلؤون**»[1].

وللبخاري قال رسول الله ﷺ: «**بينما أنا قائم على الحوض إذا زمرة، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلم، فقلت: إلى أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: فما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى، ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم، خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلم فقلت : إلى إين؟ قال: إلى النار والله، قلت: فما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا على أدبارهم، ولا أراه يخلص منهم إلا مثل هملاء النعم**».

قلت: فدلت الأحاديث، على أن في خير قرون الأمة، من قد ارتد عن الإسلام، وذكر شيخ الإسلام: أن ذلك وقع في طوائف، وصرح به في "منهاج السنة" وغيره .

وأخبار هؤلاء الطوائف ، وذكر مقالاتهم، وكفرياتهم، مبسوط في كتب العلماء، وتواريخ الإسلام، لا يخفى ذلك إلا على من هو أجهل الناس بالعلم والعلماء، كهذا الجاهل البليد، الذي أخذ عن أشياخه عداوة التوحيد.

فما أشبه حاله لمن قال الله فيهم: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا**﴾ الآية [المائدة: ١٠٤] وقوله : ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا**

---

[1] وفي لفظ: «فيجلون» قال ابن الأثير في "جامع الأصول" (١٠/ ٤٧١): «(فيحلؤون) أي: يدفعون عن الماء، ويطردون عن وروده، ومن رواه «فيجلون» بالجيم، فهو من الجلاء: النفي عن الوطن، وهو راجع إلى الطرد».

بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ [لقمان: ٢٠، ٢١].

وهؤلاء في الحقيقة : خصوم شيخ الإسلام، وإخوانه من العلماء الأعلام، وسلف الأئمة الكرام، كما قد عرفت فيما قدمته لك، من تقرير هذا الإمام ، فما أشبه هذا البليد بابن البكري، لما خالف شيخ الإسلام ، فيما أنكره عليهم من الاستغاثة بغير الله ، أخذ يرد على شيخ الإسلام ، من كتابه " الصارم المسلول " .

قال شيخ الإسلام: «فأزال بهجته»[1] أي : كتابه " الصارم " والبصير يعلم: أن أعداءنا في هذا الدين، هم أعداء أئمة المسلمين لأنا لا نخرج عما أجمعوا عليه، ولا نخالفهم فيما اتفقوا عليه ، نسأل الله الثبات على الإسلام والإيمان.

وقد عرفت : أنا لم نكن بصدد مناقشته ، فيما قاله ، وأورد، لكنه ذكر في جملة الأحاديث الواردة في الخوارج، الحديث المعروف في وصفهم، وفيه : «**يقتلون أهل الإيمان ، ويدعون أهل الأوثان**» وهذه حال هذا الرجل ، فإنه سعى في عداوة أهل التوحيد ، الذي هو أصل الإيمان، ومعظمه ، ووالى عباد الأوثان، فإن الخوارج تركوهم، وهذا أعانهم وذب عنهم، وحاول أن يدخلهم في عموم أهل الإيمان مع ارتكابهم الذنب الذي لا يغفره الله.

وقد تقدم : أن الله كفر أهله، وجعلهم أهل النار الذين هم أهلها، نعوذ بالله من النار وأعمالها.

واعلم : أنه قد وقع في "الفتاوى المصرية" لشيخ الإسلام كلام حسن بيّن، يزداد به المقام ظهوراً، والموحد سروراً، قال رحمه الله : «والإله الذي تألهه القلوب بكمال المحبة والتعظيم، والإجلال والإكرام، والرجاء والخوف».

---

[1] "الرد على البكري" (ص:٣٦١) .

قال: «ومن قال: لا بد لنا من واسطة بيننا وبين الله، فإن أراد أنه لا بد من واسطة تبلغه أمر الله ونهيه، فهذا حق لا بد للناس من رسول، يبلغ عن الله أمره ونهيه، ويعلمهم دين الله الذي بعثه به، فهذا مما أجمع عليه أهل الملل، ومن أنكر ذلك فهو كافر بالإجماع.

وإن أراد بالواسطة: أنه لا بد منه في جلب المنافع ودفع المضار، ورزق العباد، وهداهم، فهذا شرك، كفر الله به المشركين حيث اتخذوا من دون شفعاء وأولياء يستجلبون بهم المنافع، فمن جعل الملائكة أربابا وواسطة يدعوهم، ويتوكل عليهم، ويسألهم تفريج الكربات، فهو كافر بإجماع المسلمين.

ومن جعل المشايخ من أهل العلم والدين، وسائط يعلمونهم، ويقتدون بهم فقد أصاب ، والعلماء ورثة الأنبياء وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك ، إلا رسول الله ﷺ وإن أثبتهم وسائط، بمعنى الحجاب، الذين بين الملك والرعية، بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقه، فهذا شرك وكفر»[1] انتهى.

ومن أرد الوقوف على ما جرى في آخر هذه الأمة من الشرك، وما أورده المشركون من الشبه، فليطالع:

[١] كتاب "الإغاثة " للعلامة ابن القيم.

[٢] وكتاب "الاستغاثة " لشيخ الإسلام؛ في الرد على ابن البكري، رحمهما الله تعالى.

[٣] وكتاب "الرد على ابن الأخنائي ".

ففي هذه الكتب من بيان التوحيد، وما ينافيه من الشرك، ما يعين المنصف على فهم كلام الله وكلام رسوله ﷺ وحقيقة ما بعث الله به رسوله من دينه.

---

[1] "مختصر الفتاوى المصرية" (٢٦٦-٢٦٨).

وقد أشار الشيخ محمد بن إسماعيل الصنعاني، في قصيدته التي سيرها إلى شيخنا: محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى، وذكر فيها ما عم وطم من الشرك الأكبر، فقال:

وقد جاءت الأخبار عنه بأنه ... يعيد لنا الشرع الشريف بما يبدي
وينشر جهراً ما طوى كل جاهل ... ومبتدع منه فوافق ما عندي
ويعمر أركان الشريعة هادماً ... مشاهد ضل الناس فيها عن الرشد
أعادوا به معنى سواع ومثله ... يغوث وود بئس ذلك من ودِّ
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها ... كما يهتف المضطر بالصمد الفردِ
وكم عقروا في سوحها من عقيرة ... أهلّت لغير الله جهراً على عمدِ
وكم طائف حول القبور مقبلٌ ... ومستلم الأركان منها باليدِ

وقال العلامة : أبو بكر ابن غنَّام ـ فريد وقته بعلم المعقول والمنقول، والشعر والإنشاء ـ في صدر القرن الثالث عشر، شعراً من قصيدة :

نفوس الورى إلا القليل ركونها ... إلى الغي لا يلفي لدين حنينها
فسل ربّك التثبيت أيّ موحدٍ ... فأنت على السمحاء باد يقينها
وغيرك في بيد الضلالة سائرٌ ... وليس له إلا القبور ودينها!

ولو تتبعنا كلام العلماء، فيما صدر في هذه الأمة من الشرك الأكبر، من عبادة القبور والأشجار، والكواكب والأحجار، وغير ذلك، لطال الجواب، وذلك مما لا يخفى على ذوي البصائر والعقول والألباب، فاعتبر أيها الناصح لنفسه.

[فصل[1]]

واعلم: أن الاختلاف إنما وقع بيننا بين كثير من الناس في معنى لا إله إلا الله، والعمل بها.

فهم قنعوا من كلمة التوحيد باللفظ، ورأوه نافعا، وإن لم يعتقدوا المعنى، ولم يعملوا به، ومن له أدنى مسكة من عقل يعلم أن لا إله إلا الله ، تدل على التوحيد ، ولا ريب أن الشرك ينافي التوحيد، كما تقدم أنه مبطل للأعمال، هذا ولو كانت الأعمال في الأصل صحيحة، فكيف إذا كان مبناها على الكفر بمعنى لا إله إلا الله، أو الشرك؟!

إذا عرفت ذلك: فاعلم أن الاختلاف بين الرسل وأممهم، إنما هو في معنى لا إله إلا الله بالمطابقة، فإن جملة: «لا إله» تنفي الشرك والإلهية عن كل ما سوى الله، وجملة: «إلا الله» تثبت الإلهية بجميع أنواعها الباطنة والظاهرة لله وحده، وبيان هذا في القرآن في آي كثير.

قال تعالى عن الخليل عليه السلام: ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ**﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧] فبين تعالى: أن ملة الخليل هذه الكلمة وأن مدلولها البراءة من كل ما عبد من دون الله ، وقصر العبادة على الله وحده ، بقوله : ﴿**إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي**﴾ [الزخرف:٢٧] فدلّت هذه الجملة على أن الإله المنفي هو المعبود، وأن العبادة لا تصلح إلا لمن فطر الخلق وهو الله وحده لا شريك له.

قال تعالى : ﴿**وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ [الزخرف: ٢٨] وهي لا إله إلا الله وعبر عنها الخليل بمعناها، وهو إفراد الله بالعبادة، ونفيه عن كل ما سواه، فدلالتها على معنى لا إله إلا الله، دلالة مطابقة وهذه ملة الخليل عليه السلام، وملة إخوانه من المرسلين، قال الله تعالى: ﴿**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ**

[1] من زياداتي.

وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [الممتحنة: ٤] وأخبر تعالى عن ابن ابنه يوسف بن يعقوب عليهم السلام أنه قال: **﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾** [يوسف: ٣٨].

فبين أن ملة آبائه نفي الشرك، والبراءة منه، وأن أكثر الناس ليسوا على تلك الملة، ثم بين التوحيد الذي هو إخلاص العبادة لله وحده، بقوله: **﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا للهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾** [يوسف: ٤٠].

وقد دعا النبيﷺ أهل الكتاب وغيرهم، إلى معنى لا إله إلا الله، قال تعالى: **﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾** [آل عمران: ٦٤].

فأصل الملة دين الإسلام، ومعنى لا إله إلا الله في هاتين الكلمتين **﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾** [آل عمران: ٦٤] وقوله: **﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ﴾** [آل عمران:٦٤] فهذا النهي عنه، هو الواقع من كثيرين، اتخذوا بعضهم من الأموات أرباباً من دون الله، يدعونهم، يرجونهم ويستغيثون بهم في المهمات، ويرغبون إليهم في كشف الكربات، هذا وهم رفات أموات، لا يسمعون، ولا يستجيبون.

ولما دعا رسول اللهﷺ المشركين إلى أن يقولوا: لا إله إلا الله، أخبر تعالى: **﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾** [الصافات: ٣٥، ٣٦] فتركُ الآلهة والبراءة من عبادتها قد دلت عليه لا إله إلا الله، دلالة تضمن، كما في هذه الآية.

وقال في السورة بعدها عن المشركين، لما دعاهم رسول الله ﷺ إلى التوحيد، قالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥] فهذا الذي عجب منه المشركون، هو دين الله الذي أرسل به رسله، وأنزل به كتبه: أن العبادة والتأله حق الله على عباده، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [النحل: ٥١] فقصر الرهبة عليه بتقديم المعمول، لأنها نوع من أنواع العبادة.

قال شيخ الإسلام: «العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال والأفعال، الظاهرة والباطنة»[١] انتهى.

فالعبادة بجميع أنواعها مقصورة على الله دون كل ما سواه، كما في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] وفي قوله: ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٦] والقرآن كله من أوله إلى آخره، في تقرير لا إله إلا الله، فهي كلمة الإخلاص ،و كلمة التقوى، والعروة الوثقى.

ولا يتمسك بها إلا من كفر بالطاغوت، وآمن بالله كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦] قال الإمام مالك رحمه الله وغيره: «الطاغوت ما عبد من دون الله»[٢].

فانظر: يا من عرَّفه الله دين المرسلين، وما ينافيه من دين المشركين، إلى تلاعب الشيطان بأكثر الجهال، وكيف سلبوا أنوار شرف العلوم، حتى زين لهم الشيطان سلب حقيقة معنى لا إله إلا الله، فقنعوا منها بلفظها دون المعنى الذي وضعت له، من نفي الشرك بالله وإخلاص العبادة بجميع أنواعها لله تعالى، فوقعوا لذلك الجهل والغرور في

---

[١] "العبودية" (ص٤٤) و"مجموع الفتاوى" (١٠/ ١٤٩).

[٢] "تفسير ابن أبي حاتم" (٢/ ٤٩٥).

أعظم ذنب وأكبر محظور ، وصرفوا معظم المحبة ومخ العبادة، لأرباب القبور، وزادوا على ذلك الشرك، حتى اعتقدوا لها التدبير وصرفوا لها التأثير.

والربوبية والإلهية: لا تصلح بجميع أفرادها، إلا للملك العظيم القدير الذي ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التغابن: ١] ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨] ، ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (١٣) إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣، ١٤].

وصلى الله على محمد النبي البشير النذير ، والسراج المنير ، وعلى آله وصحبه ، ومن اتبعهم ممن اعتصم بالله ، وهو مولاه ، فنعم المولى ونعم النصير ، وسلم تسليماً .